

عبدالوهاب البياتي

الحريق

وقصائد أخرى




دار سحر للنشر 

عبدالوهاب البياتي

الحريق

وقصائد أخرى

الهيئة العامة لكتبة الإسكندرية	
رقم التصنيف	٥٩٢.٧١
	ب. ي. ع.
	٤٩.٦٣

دار سحر للنشر 

© جميع الحقوق محفوظة
لدار سحر للنشر
أفريل 1996

الحريق

الذئب

ولمحتُ في عينيكِ

إنساني

الضائع ، المتهافت ، الفاني

ذئباً يدب إلى كنوزك في

أعقاب ليلٍ :

« كان إنساني ! »

وتغمغمين :

« ... وكان يهواني »

ومن الظلام تفوح أغنيةٌ

يلغو بها المذيع في الحانٍ :

كنزي الوحيد
 حمامتي ، حلمي !
 يا أخت قلبي المظلم الجاني ،
 يا نار أشجاني !
 رديّ عليّ ، عليّ إنسانيّ
 وتناثرتُ خصلٌ معطرّةٌ
 وعلى السرير انهد ظلانِ
 وعواء حيوانِ
 وتغمغمين ، وأنت شاحبةٌ
 مسحوقةٌ : « ... وغداً سينساني ! »

وبغوص في نهديك مخلبه
وموت في عينيكِ
إنساني .

رجك وامرأة

يسقط الثلج على مدخنة البيت
وفي بهو المرايا
امرأة منتظرة
رجل في دمها ، يحرث ، مأخوذاً
حقول الجسد المزدهرة
رجل يولد من أضلاعها
يسكن فيها
يختفي في الذاكرة

نابضاً في قطرات دمها المفترة
صاعداً كالشجرة
في خلاياها وفي أوصالها المرتجفة
رجل عانقها
فاشتعلت في دمها ، نارُ الفصول الأربعة .

صورة جانبية لعائشة

تُخفي وراء قناعها وجهَ الملاك
وملامح الأثني
التي نضجت على نار القصبائد
إيقظت شهواتها ربحُ الشمال
فتجوهرتُ تفاحةً / خمراً
رغيفاً ساخناً
في معبد الحب المقدس
أدمنت طيب العناق

ظهرت بأحلامي ، فقلتُ : فراشةٌ
رقت بصيف طفولتي
قبل الأوان
وتقمصت كل الوجوه
وسافرت / بدمي تنام
قديسة تنسل في جوف الظلام
لتعاقب الصنم المحطم
تنشب الأظفار في الحجر / الحطام

ياقوتةُ / فَمُها / تشع طريةُ /

نار الحقول /

ضفائرُ معقودة /

عينان تضطربان من فرط الحنان

وجه وراء قناعه ، يخفي « مدائن صالحٍ »

وحدائق الليمون في أعلى الفرات

أَمْضَيْتُ صَيْفَ طِفُولَتِي
فِيهَا ، وَأَدْرَكَنِي الشِّتَاءُ
وَحَمَلْتُ فِي مَنْفَايَ بَعْدَ رَحِيلِهَا
ذَهَبَ الْقَصَائِدِ وَالرَّمَادِ .

١٩٨٨ - ١٩٨٧

نار من داغستان

راقصة من أرض السحر الأسود جاءت
تشعل ناراً
في أرض السحر المشهود
شفتها عسل ونبيد

قالت للساقي المأخوذ :
زدني عسلاً ونبيذاً ، فالليل يطول ،
قالت عيناها للنور
زدني نوراً ، فأنا جائعة للنور
قالت للعود :
زدني حباً ، فالحب وجودي
وبدون الحب أموت

قالت : سأقول
لكنني ، لا أدري ، ماذا سأقول ؟
فالريشة فوق العود
وكلانا / مفقود .

سر النار

في آخريوم ، قبّلتُ يديها
عينيها / شفّتها
قلتُ لها : أنت ، الآن ،
ناضجة مثل التفاحة
نصفك : إمراةٌ
والنصف الآخر ليس له وصفٌ

فالكلمات

تهرب مني

وأنا أهرب منها

وكلانا ينهار

لطفولة هذا الوجه القمحي

وهذا الجسد المشتعل الريان

أبتهلُ الآن

وأقربُ وجهي

من هذا النبع الدافق ، ظمآنً ،

في آخر يوم ، قلتُ لها :
أنت حريقُ الغاباتِ
وماءُ النهرِ
وسرُّ النارِ
نصفك ليس له وصفٌ
والنصف الآخر : كاهنة في معبد عشتار .

١٩٨٦-٥-٢٧

القيثارة السومرية

- ١ -

تقولُ « أميمةُ » هذا الهوى
لنا في شتاء المنافي رمقُ
نبيذٍ وخبزٍ / هو المشتهى
إلى جسدٍ جاعٍ حتى استدق
فها أنا عارية في الظلام
ونهدي بهِ جائعاً يلتصق
وها هو في عريه ساحر
يغوص معي ضارباً في العمق

أراني في حضنه وردة
يعانقني قبل أن أحترق
بتفاح صدري تمرُّ يداهُ
وفي باطني عينهُ تَأْتلق
يداعبني مثل قيثارة
ويحملني نجمة للأفق
« تملكني وتملكته »
فما هو إلا ملاك صدق

وما هو إلا عذابُ الوجود
وبرق على جسدينا اندلق
على باب « دلون » أبصرتهُ
وأبصرني ربة للألق
وعاهدته أن نطيل العناق
وأن لا نفيق ولا نفترق
وها نحن إثنان في واحد
وها أنا في حضنه أنزلق

« أحبك » قالت ، وراح الصدى
يردها في احتضار الغسق
ضفائرها اشتعلت في يدي
وأدركها في العناق الشبق
فقلت : لماذا يموت الربيع
إذا كان لي مثل هذا العبق
حديقة « ساقو » أنا - طفلة
وأنتى تضاجع نجماً خفق

توسدني وتوسدته
وغبنا معاً في سرير الأرق
فيا مطر الحب ، أمطر عليّ
وبلل جفوني بضوء الشفق .

- ٢ -

فقلتُ لها : إن هذا البهاء
يليق بسلطانتني العاشقة
رأيتك في « أور » قيثاره
وفي النار مخلوقة خالقة
وفي باب « دلمون » عرافة
وسيدة الشهوة الحارقة
فكوني لي البحر والأرخبيل
وكوني لي البحر والصاعقة .

الساحرة

- ١ -

لا تبطلِي السحر الذي بيننا
وتطفئي المصباح في الدربِ
حمامة أنتِ ، وعش أنا
منقارها الأحمر في قلبي
ينقر حتى لا أرى مهرباً
إلا بأن أموت في الحب
جئتك من بابل مستغفراً
فهل تصرين على صليبي ؟

ها أنذا أقبع في حانة
أقتل وحش الليل بالشرب
يموت ضوء الفجر في بابها
وتشرق الشمس من الغرب
أعود للبيت وحيداً كما
يعود جندي من الحرب
أراك في المرأة تفاحة
شهوة نائمة قربي
ألمسها لكنها تختفي
وعطرها يفوح من ثوبي

أقول للمرأة ماذا جرى ؟
وما الذي يدور في الغيب
لا تبطلني السحر الذي بيننا
حسبي الذي ما قد جرى ، حسبي .

-٢-

ولدتُ في المنفى وها إنني
أموت في مملكة السحر
علقت قيثاري على بابها
وامتلكتني ربة الشعر

أصبحت من فرط احتراقي بها :
نهر جنون في دمي يجري
كتابتي رسم لأصواتها
وبوحها الهامس في الفجر
في أي برج ولدت ، وجهها
يقول للسائل لا أدري
ترنو إلى البعيد ، لكنها
تقرأ ما يجول في فكري

عيونها تغوص في باطني
ويدها تعبت في شعري
الحجر الأخرس في بابل
كلمني بلغة الطير
لما رآها في طقوس الهوى
تبكي على « تموز » في السر
عائدة من عالم السحر والـ
غموض والمدائن الخضر

قلت لها : من أنت ؟ قالت : أنا
ساحرة سقتك من خمري
منازلي هناك ، فاذهب لها
لعلها تشفيك من سحري
شيطانة كانت لشعري ، أرى
عيونها في الصحو والسكر
أمسكتها هيمنان في غمرة الـ
إحباط والجنون والقهر

كشفت عن قناعها في الكرى
قبّلت فاها وهي لا تدري
حتى إذا ما متُ عادت إلى
بلادها لتصطفي غيري .

قراءة في سفر التكوين

المحور الكوني فوق سرّة

الأرض

كما القرطاس تحت بارق

القلم

يخصب في لمستة وجودها

المسكون بالعدم

يعيد بدء الخلق في عناقه

يتوج الجنين بالأنوار

والظلم

يرسم عينين
ووجهاً طافحاً بوجع
الخلق
يعيد رسم ما أهمله القلم
يصرخ مأخوذاً
فهذي الأرض في شهوتها
للمحور الكوني ، مدّت
يدها
فانحسر الوجع :

أغمض عينيه
رأها تحته
عارية
عيونها بحيرة يطير في
سمائها البجع
تمارس اللعبة من أولها
كذئبة
تأكل لحم رجل

أشفي على الغرق
قال لها : عودي إلى جوهرك
الفاني
فأنت الموت
والنموذج البدئي للحب
وأنت النار والشهوة
والجسد
وغاص في أعماقها
فاشتعلت
تعاثق الأبد .

من بعض ما أهمله أبو فرج الأصبهاني
في كتاب [الأغاني]

-١-

ضنّت عليه بقبلة
لكنها كانت لهارون الرشيد عشيقة
ولزوجه
عرا بها كان الوزير
وكان ، أحياناً ، يغش
فيمتطيها
حاملاً بقرونه
عبء القضية والقضيب

-٢-

كانت « جنان » عشيقه لأبي نواس
لكنهم كذبوا
فقالوا : إنها كانت تفرّ
إذا رأته مرثحاً سكران
في قاع المدينة
أو تسول قبلة منها
وعاتق طيفها من ثقب باب
كذبوا : « جنان » بحبه احترقت
وضاعت
أصبحت مجنونة

تتسقط الأخبار عنه
تطوف في الحانات
في زي الغلام
يلوطها الشعراء والمجان
حتى تلتقي بأبي نواس
فإذا غفا الساقى
وهوم بعضهم
صرخت بهم :
« من منكم هو ؟ »
هكذا كانت تقول لمن تأخر أو تقدم للعناق .

-٣-

الكبش بين نعاجه
 يختار من كانت هي الأصبى
 ويهجرها إذا حبلت
 وأدركها المخاض
 لكن بشار بن برد
 كان يختار الأرامل والصبايا
 كان يختار الجميع
 فالصفر كان بداية ونهاية للكون
 في حسابه
 وفجاعة الإنسان في شَرِّك الوجود .

- ٤ -

كان الكتاب منخضباً بدم القتييل
وعلى جدار السجن
أبيات لبشار بن برد
كانت الضوء الأخير
ورغيف خبز في الجوار
وكوز ماء
ووراء سور مدينة العميان
كان القاتل المأجور
يمشي في الجنابة
منشداً شعر القتييل .

- ٥ -

مجنون ليلي لم يميت بالحب
مات بغيره
فالموت أبخل ما يكون
مرّت عصور : ها هم العشاق
في أكفانهم يتنهدون
وأنا أقلب في جنون
أوراقهم
فلعلمهم يتذكرون .

- ٦ -

هذه المرايا لا تخون الوجه
إلا عندما يأتي الخريف
تساقط الأوراق فوق زجاجها
وقناع جارية الفصول
وعواء ذئب الموت في الغابات
في جبل الجليد
جعل الطبيعة تستغيث

ماذا سأحمل بعد أن رحلت
سوى هذي المرايا والقناع
من أصبهان لأصبهان
أرق على أرق
ووجه في الظلام
يتلمس الضوء البعيد
ويختفي بين الزحام .

- ٧ -

محظية عقدت صفاتها
وغنت في مقاصير الجواري والقيان :
ذهب الذين أحبهم
وبقيت وحدي لا أزور ولا أزار
عطش على عطش
وثلج فوق نار
وتر على وتر
وقلب ضائع في اللامكان
ما كنت أعرف قبل حبك ما البكاء .

- ٨ -

قالت : أتتركهم ، كما كانوا ،
 يموتون انتظاراً
 في الهوامش والمتون
 يتحدثون بنومهم
 ويحدثون النائمين
 عبث الرواة بهم
 أعادوهم إلى الورق العتيق مقيدين
 تركوا على باب الخليقة خائفين
 أصواتهم بُحتُ
 ولكنني المغني
 ظل يعزف

في فضاءات التعاسة
ضارباً في عوده
لحناً يمزقه الحنين :
هذه المرايا لا تخون الوجه
لكن الوجوه تعددت
من أين لي ؟
« يا دار مية »
أن أحب وأن أخون .

الحريق

- ١ -

(أميمةُ) قالت لمرأتها
 ها هنا جثم النسر فوقي
 ومرّت مخالبه فوق نَهديّ
 تاركةً قمراً وصليبُ
 تملكني وأنا بين ذراعيه
 أسبح مجنونةً ببريق النجوم
 توغل بي
 حارثاً جسدي البكرَ
 فكدتُ -
 وقد خطف الحب قلبي -
 أموتُ

أعانقه وهو عني بعيدُ
 وأشربه
 وهو مني قريب
 وقالت لمرأتها :
 مَنْ ببابي ؟
 فقالت لها : أنتِ بالباب
 يا وردة المستحيل
 وكدت أقول لها :
 وأنا غارق بدمي
 أستغيث :
 أحبك حتى أموت
 وهذا الحريقُ
 سيبقى هو الشاهد الحي
 من بعد موتي
 على ما أقول .

- ٢ -

(أحبك)
صارت حريقَ المنافي
وفي كل منفي
أحبك أنت
فوجهك أسطورةٌ
ولدت من قرارة موج الخليج
أداوي بها وجعي
وبها أستغيث .

سيدة الضوء

سيدةُ الضوء إليها يتضرّع عشاقُ
جاءوا من كل الأزمان
لا يشبهها أحدٌ :
تأخذ ، أحياناً ، شكل غزال
أو جسد امرأة يلتف بنهديها ثعبان
يرقد فوق السُرَّة
يحرس نار الرغبة
حبات العرق المتألّي
جوع الأعماق
وتسافر ، حيناً ، في النوم
بعيداً
فرساً تتفصّد شهوتها عرقاً

تصهل في الأنهار المهجورة
حين نضوب الماء
صاعقة تنخفي بفحيح الشعبان
تظهر في كل الأزمان
آلهة أو أنثى من ضوء
تحمل قوس الصيد
متوجة بلقاح الأزهار
تتساقط / في كل بلاد تظهر فيها / الأمطار
وتقام الأعياد .

عناق

الزمني / الأبدى / اعتنقا
 فصعدت صرخة إنسان
 إلى غياهب المقدس / المحرم / المعبود
 وفرت الطيور
 من غابة الرموز
 راسمة في زرقة السماء
 خيط ذهب مصهور
 ونزفت في جسد القصيدة الجروح

فوق بياض الورق المقروح
فقال شيخي : إنها عائشة
عادت إلى دائرة السحر
وفي عودتها
توحدت بكائنات النور .

الجارية

سقطت مثل تفاحة في الوحول
وتحت ذيول الطواويس
في زمن المرأة / الجارية
كل من نظموا الشعر عاجوا عليها
وطافت عليهم
وكانت هي الساقية
رقصت في فضاءاتهم عارية
تركوا عند سرتها قمراً
ورماد القصيدة والقافية
تبادلها الكل
خانت طفولتها

بمرايا العيون
وبالمنظرة الزائفة
هفوتُ إليها
وكدتُ / أبادلها الحب في الهاوية
ولكنها سقطت في الوحول
وعادت إلى أصلها جارية .

المقطع الثالث من مدارات شرقية

قالت : غطّاني الحلاج بشيءٍ

وأنا نائمة

قبلني

مسدّ شعري

أدخل في صلبي وتداً محمياً

أشعل في جسدي ناراً

فرأيت فراشات حول النار تحومُ

وسقف الحجرة يسقط فوقي

وامرأة أخرى تخرج من جسدي
قلت لها : من أنتِ ؟
فقلت : أنتِ أنا
والرجل الجائم فوقي
ليس هو الحلاج

بل هي صورته في المرأة :
وأنا في الحلم أعانقه
ويعانقني
لكن وزير السلطان
قدمني للقاضي شاهدةً
ضد الحلاج .

الوجه المقدّس

- ١ -

مقدّس وجهك
أنت الوثن المعبود
نهران من الغموض والشهوة
في أعماق عينيك يصبان وينبعان
والأرض تدور
وأنا أدور
هل أنت التي أحببتها في زمن آخر
أم أنت التي مارست السحر
على دجلة والفرات في فجر الحضارات
ففاضاً ذهباً

أم أنت في طفولتي
كنت بنومي امرأة تمارس الطقوس
لم تكبري
وجهك ما زال ، كما كان
بهياً صافياً
يشع منه النور
أخذه بين يدي
جائعاً
رغيف خبز ساخن
وجهك لي يقول

« تاج محل » أنت
تحت القمر الهندي في ليلة صيف
آيةً في كتب اللاهوت
غزاة ولدت من قبيلة الريح
ومن سلالة الملوك
مقدس وجهك في معابد الجوس .

- ٢ -

ها أنذا أقتل نفسي
تحت تمثالك في « اللوقر »
مأخوذاً بنهرين من الغموض والشهوة
في أعماق عينيك
يصبان وينبعان في المجهول .

الفهرست

٥ الذئب
٩ رجل وامرأة
١١ صورة جانبية لعائشة
١٥ نار من داغستان
١٩ سر النار
٢٣ القيثارة السومرية
٢٩ الساحرة
٣٧ قراءة في سفر التكوين
٤١ من بعض ما أهمله أبو فرج الأصبهاني في كتاب [الأغاني]
٥٤ الحريق
٥٧ سيدة الضوء
٥٩ عناق
٦١ الجارية
٦٣ المقطع الثالث من مدارات شرقية
٦٧ الوجه المقدس



General Organization of the Alexandria Library (GOAL)
General Bibliotheca Lib. Alexandria

طبع بالمطبعة الأساسية المنطقة الصناعية . بن عروس تونس

الهاتف ، 380.201